وثبة الشعر اللبناني

بقلم موريس صقر

قد لا يحق للبنان الحديث ان يفاخر بشيء في عالم الابداع الا بشعره . فلا القصة ، ولا المسرح ولا النقد ، ولا السيرة ، ولا المحاولة وصلت عندنا الى درجة من الارتقاء يمكننا ان نعتز بها ، رغم بعض الآثار القيمة التي ظهرت هنا وهناك والتي تبشر بمستقبل زاهر . اما الفنون الجميلة ، من موسيقى ونحت وتصوير وتمثيل ورقص وغيرها ، فلا تزال في بدء تحفزها ، ناهيك عن ان الابحاث العلمية والدراسات الفلسفية لم تتعد بعد طور المخاض .

وحده الشعر قفز في لبنان قفزة جبارة ودخل في نطاق الابداع ، واصبح يجاري الى حد غير قليل الوثبات الادبية الكبرى في العالم . ولهذه القفزة اسباب عديدة ، منها ان طبيعة ارضنا وسمائنا طبيعة شعرية زاخرة بعناصر الجمال والالهام ، ومنها ان الروح اللبنانية مؤهلة للنشيد ، اي للتعبير عن احاسيسها تعبيراً منبثقاً عن موسيقى ضمنية وطرب كياني وعطش ملح الى تفجير الطاقة الجمالية واجتياز حدود الذات وتحدي القدر ، ومنها اخيراً ان اللبنانيين قد انفتحوا قبل جيرانهم على التيارات الفكرية والادبية الفاعلة في الكون ، وتلقحوا بها فجرت في عروقهم دماً جديداً يضج بالتفتق ويود ان يتجسد في الكلمة الراقصة .

قد لا يفترض التفوق الشعري تعمقاً في الثقافة العامة ، وقد يصدف ان نجد بين الشعراء المبدعين من يجهل التراث الحضاري (واكبر دليل على ذلك ان الزجل اللبناني وصل الى درجة عالية من البوح والوجدانية دون ان يكون للزجالين اي المام بالآثار الحضارية الكبرى) . غير ان الانتفاضات الفكرية والوعي الاجتماعي والجهود الجدية للنهوض والأخذ بالجمال والتمرس بالمعرفة تولد جواً من التدفق الوجودي يرهف الاحساس ويشحذ القرائح ويلهب الهمم ويخصب النفوس فتتهيأ الظروف للانطلاق الشعري . والانطلاق الشعري يدل ولا شك على غنى داخلي وبدء تعبئة للقوى الخلاقة عامة ، وهو يؤذن بانطلاق مماثل في مختلف ميادين الفن والفكر والعلم ، شرط ان تتوفر الامكانيات المادية والاجتماعية لذلك .

* * *

اذا القينا نظرة خاطفة على تاريخ الشعر العربي في لبنان ، نرى انه مر بمرحلة جمود وعقم وظلام بدأت منذ ثبوت قدم اللغة العربية في هذا البلد واستمرت الى القرن التاسع عشر . وفي القرن التاسع عشر خطت النهضة الادبية خطوة اولى على اثر التفاعل مع الغرب وانشاء المدارس وانتشار التعليم والتعميق بدرس الآثار العربية القديمة . وكان الشيخ ناصيف اليازجي اول من تعمق بدراسة الشعراء الاقدمين فأعجب خاصة بالمتنبي وتأثر به تأثراً جماً ونظم القصائد على غراره وتمكن من رفع مستوى القريض وضبط اللغة ، ولكنه بقي مقلداً ، متمسكاً بالنظارات القديمة والطرق المبتذلة ، فكانت يقظته عودة الى الماضي وترسخاً في اللغة اكثر منها سعياً الى التجديد واندفاعاً الى الامام .

وبقي الحال على هذا المنوال الى ان تضاعف الاتصال الجذري بالادب الغربي وكثرت الترجمات وتوسعت الآفاق وزاد التمرس بالنظم والبوح ، وشعر غواة النشيد تحت تأثير الادباء الغربيين بحاجة الى التعبير عن احاسيسهم المباشرة واختباراتهم الخاصة ، فبدأوا يبتعدون شيئاً فشيئاً عن الطرق التقليدية ويندفعون في دروب الوجدانية الاصيلة . وفي مطلع القرن العشرين « ظهرت نخبة من الشعراء المتأثرين بالادب الغربي ، اطلق عليهم فيما بعد لقب المخضرمين ، نذكر منهم خاصة اسكندر العازار وسليم العازار وسليمان البستاني والياس فياض ونقولا فياض وامين تقي الدين وبشارة الخوري . ولم يلبث هذا الاخير ان برز وحلق بقصائده الغزلية الرقيقة واحساسه المرهف ولباقته في وصف جمال الحبيب والحرقة التي يتركها في القلب ، وقد عرف كيف يجمع بين روعة الطبيعة وروعة الجمال البشري ، فكانت قصائده الغزلية الاولى بمثابة فتح جديد يذكرنا بالفتح الذي احدثه منذ قرون عمر بن ابي ربيعة .

عشت فالعب بشعرها يا نسيم — واضحكي في خدودها يا نجوم
من ملاك في بردتيها مقيم — جسّد طاهر وروح كريم
ومحيا فيه ترى البدر حيا

وانطلق بشارة الخوري يتفنن في نظم المقاطع الروائية التي تتميز بالملاحظة المبتكرة والصور القوية ، فيقول مثلاً في وصف المتيّم :

يحمل الابتسام في شفتيه — والمنايا تسيل من ادرانه
كسراج في جوف دير قديم — هرقت روحه على جدرانه

يشهق الشهقة الخفية في — الفجر ويفني انفاسه بدخانه
كعليل على فراش من السل — بعيد المزار عن اخوانه
كلما ألحف السعال عليه — اطعم الداء قطعة من جنانه

وله ايضاً منظومات تتجلى فيها العاطفة الوطنية والثورة على الظلم والبؤس والآفات الاجتماعية .

بشارة الخوري

وقد عرف هذا الشاعر الذي اطلقوا عليه لقب « الاخطل الصغير » كيف يلعب بالالفاظ والموشحات ويستخرج منها موسيقى عذبة مسكرة ، ولعل اروع قصائده تلك التي لحنها الملحنون وغناها المغنون هنا وهناك ، ومنها « الهوى والشباب » و « جفنه علّم الغزل » و « بابي انت وامي » وغيرها ... ولا ريب

ان انصراف بشارة الخوري ، من وقت الى آخر ، الى مطالعة الشعر الفرنسي والدخول في جوه وتعريب بعض مقاطعه ساعدته على التحرر شيئاً فشيئاً من الاساليب القديمة والتحول الى وصف اللواعج وصفاً مباشراً وملتاعاً ، على غرار الرومانطيقيين .

كانت الخطوة التي خطاها الاخطل الصغير بدء الوثبة الشعرية الحديثة في لبنان ، اذ شقت الطريق امام الرومانطيقية ، او التعبير المحموم والملون عن اللواعج والحالات النفسية ، كما انها شقت الطريق امام التفنن في انتقاء الالفاظ النفرة ، الموسيقية .

غير ان الوثبة لم تتحقق فعلاً الا عندما دخل الشعراء اللبنانيون الى جوهر العبقرية العربية القديمة وجوهر العبقرية الفرنسية او الانكليزية الحديثة واستخرجوا من امتزاجهما عناصر إلهام وصياغة غير معهودة . عندئذ اكتملت شروط النضوج والخلق بعد مرحلة الاقتباس والتلمس والتعثر والمحاولات الفاشلة احياناً والناجحة بعض النجاح احياناً اخرى ، وعندئذ نشأ تياران اساسيان ، احدهما تطفو عليه النزعة الرومانطيقية وثانيهما يتمسك باهداب النزعة الرمزية . وقد لاحظ الكثيرون ، على حق ، ان النزعتين ظهرتا معاً في لبنان وترافقتا وتصادمتا وتشابكتا ولعل من الاصح القول ان الشعراء الحديثين قد التقوا بهاتين المدرستين الفرنسيتين في آن واحد (رغم ان الرومنطيقية في فرنسا قد سبقت الرمزية بجيلين على الاقل) ، فمنهم من تأثر بالاولى وتبعها ، ومنهم من تأثر بالثانية واستلهمها ، ومنهم من وقع تحت تأثير الاثنتين معاً فلم يسلك طريق هذه ولا تلك ، بل بقي مؤرجحاً بينهما ، آخذاً منها على السواء .

هنا لا بد من التنويه بأن التأثر العميق بالتيارات الاجنبية قد وقع تارة بصورة غير مباشرة او غير واعية ، وطوراً بصورة مدركة تمام الادراك ، واعية كل الوعي ، مما افسح المجال للنظريات الشعرية والجمالية المقتبسة عن الغربيين عامة والفرنسيين خاصة ، كما سنرى فيما بعد .

الياس ابي شبكة

اما التيار الرومنطيقي فقد مثله حق التمثيل الياس ابو شبكة ، وكان هذا الشاعر قد انكب على مطالعة التوراة ، التي هي ولا شك اول اثر رومنطيقي عرفته الآداب العالمية ، ثم على مطالعة « لامرتين » و « موسه » و « هوغو » ، وهم اركان المدرسة الرومنطيقية الفرنسية ، فأتى ديوانه الاول « افاعي الفردوس » يحمل طابع هذه المطالعات . بيد ان قريحته لم تشحذ تمام الشحذ لتنقذف منها الشاعرية الصافية الا عندما انفتح على جمال الطبيعة وعلى الحب ، اي على دنيا الشوق والغبطة واللوعة والانخطاف الكامنة في اعماق كل فرد منا والتي لا نكتشفها الا عن طريق القلب ، عندما يهزنا الحبيب وتبهرنا الجمالات الجارية في عروق الكون ويتأكلنا العطش الى المطلق .

وفي نظري ان آثار الياس ابو شبكة تشكل احدى القمم الشاهقة في النشيد العربي الحديث ، اللبناني وغير اللبناني ، وهي قد انتهى مطافها وختمت سطورها بانصرام حياة واضعها ، بينما الشعراء المبدعون الباقون لا يزالون في المعترك ، ينتجون ويضيفون المداميك على عماراتهم . لذلك يجدر بنا ان نقف هنيهة عند الصرح الذي تركه لنا الياس ابو شبكة بشكله النهائي .

يرتقي الشعر مع ابو شبكة الى درجة الفضيلة الفريدة التي تستخرج الجمال من كبد الطبيعة واعماق النفس وتنبذ ما تبقى . تستخرجه وتحوله الى نشيد . هي النفحة التي اذا ما هبت على القبح او الظلم او العذاب او الرذيلة او الحقارة عرفت كيف تكسبها بعض الجمال او تحولها الى بعض الجمال او تستوحي منها اثراً ادبياً فيه مهرجانات من الجمال . واذا كان الجمال « اشراق الحق » على حد تعبير افلاطون ، فالشعر هنا هو الاداة السحرية التي تمكننا من النفوذ الى هذه الحقيقة والتعبير عنها وتجسيدها في الكلمة الباقية .

لقد مر شعر الياس ابو شبكة على الرذيلة والشهوة البهيمية والاثم في « افاعي الفردوس » فاستخرج منها كثيراً من الروعة دون ان يحببها الينا . ثم مر شعره على اعراس الطبيعة ومباهجها في « الالحان » فحولها الى انغام واناشيد وصور تسكر الحواس وتبعث الحنين وتطير بالخيال الى قمم البهاء . ثم مر على الالم والحب المستحيل في « نداء القلب » و « الى الابد » فجعل من الالم بهجة ونشوة ، ومن الحب المستحيل اعذب لون من الوان الحب .

هو النشيد الاصيل ، هذه العصا السحرية التي يكفي ان نهوّل بها حتى نحوّل البشاعة الى بهاء ، والصد الى وصال ، والشقاء الى هناء :

جئنا فجاء الخيال ، معطراً بالجمال ملوناً بالسنى
جئنا فصار الزمان ، بجبنا مهرجان والارض صارت جنى

هو النشيد الصافي ، هذه القوة الخلاقة التي تمكننا من بناء دنيا جديدة تلائم حاجاتنا وامانينا ، وتحقق احلامنا واشواقنا وتروي عطشنا ، ولو برهة ، الى المطلق :

كنت لي قبل ان اراك بعيني فدمي كان يرتوي احياناً
اولم تبن بالمحبة والرأفة دنيا اعز من دنيانا

هو الشعر ، هذا السلّم الممتد من الارض الى السماء ليرتفع بالانسان نحو الله :

٦٦

رجاء

لا تقربي داري قد اطفئت ناري
اقفلت ابوابي وارفضّ سماري

اقفلت ابوابي في وجه اترابي
وارتدّ حجابي يفشون اسراري

ماذا ترى أخشى من هول ما يُفشى
والليل لا يغشى إلا على الساري

حطمت أقداحي يأساً من الراح
يا شقوة الصاحي سكرانَ تذكار

تذكار ما كنا من قبل أن بِنا
عدنا ، فمن منا أخنى على النار ؟

في عزلتي الكبرى لا تمعني نكرا
لي الى الله في حنانك مرقاة وفي صوتك الشجي سلالم ...
سكب الحب رحمة الله فينا فالسنى مائج بنا والطيوب
كل اعراقنا السعيدة للايمان مجرى وللرجاء دروب

وهو هذا الحدس الذي يجعلنا نؤمن بعنصر الخلود الكامن في قدس اقداسنا :

سوف تمحى رؤى وتنهار
احلام وتبلى منى وحي دائم

قد تكون نغمة الشعر موزعة على جميع الناس ، وقد تؤلف مع الحب والموسيقى وحدة لا تتجزأ، ولكن نراها صاخبة متدفقة هنا ، وضئيلة او راكدة هناك . فالياس ابو شبكة هو من الافراد المحظين القلائل الذين غمرهم الشعر واستولى على كامل حواسهم وخيالهم ، وغمرهم الحب وصعد بهم الى اسمى درجات العناق والانخطاف . فهذا الرجل ككل شاعر اصيل لم يكن سوى قيثارة

لاترسلي الذكرى كالارقم الحاري !

لا ترسلي الطيفا ينتابني حيفا
والقامة الهيفا والمرمر العاري !

قطعت اوتاري فارتاح قيثاري
أقفلت ابوابي لا تقربي داري

سليم حيدر

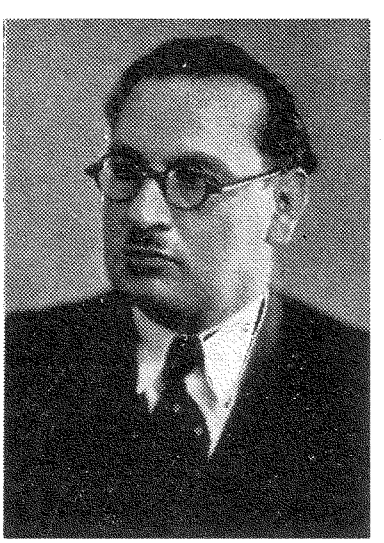

يوسف غصوب

محكمة الاوتار عزف عليها الشوق البشري — الذي لا ارتواء له — مجموعة من الالحان والاناشيد الغاليات التي تشهد بنزعة الانسان الى الكمال وثورته على حدود ذاته وحدود الكون الواقع في نطاق الزمان والمكان .

اجل تأثر الياس ابو شبكه بالتوراة والنزعة الرومنطيقية ، ولكن من العبث حصره في تأثير معين او مدرسة معينة ، فهو قد تعدى ذلك ليصل الى ما هو صاف في البوح، مستقل عن القواعد والمقاييس .

ان القصائد التي افلتت منه ، بعد ان نفذت من احشائه وعروقه ، من آلامه وافراحه ، وعطشه وارتوائه ، وثورته وسكينته ، قد اصبحت مستقلة عن اي مقياس . حية بذاتها ، قائمة بذاتها ، مثلها مثل جميع الآثار الادبية الخالصة . ونحن اذا اردنا ان ننفذ

٦٧

الى روحها ، علينا ان ننظر اليها من الداخل، او بالاحرى ان ندعها تنساب وتترنم وتتألم فينا فنعيشها ونستسيغها ، اذ ان الكلمات هنا هي خلاصة حالات وانفعالات نفسية،هي حب ووعي حب ، هي موسيقى داخلية ووعي موسيقى ، هي نشوة وطرب وحرقة وألم ، واحلام حلوة وخيبات مرة ، وجوع يحز في القلب وشوق الى المطلق وحنين الى الفردوس الاول، الى الحب الدائم والجمال الدائم والهناء الدائم .

* * *

قفز الشعر مع الياس ابو شبكة قفزة كبرى ، كما قلنا ، قفزة لا يمكننا ردها الى مقاييس معينة او مدرسة معينة ، قفزه تمتاز بالعاطفة الجياشة والهوى الصاخب المندلع كالنار تأكل النفس والجسد .

وقفز الشعر قفزة اخرى مع يوسف غصوب لا تقل روعة عن الاولى ، ولكنهـــا تنم عن كبت مقصود للواعج وعن هيمنة على الحواس وجهد ظاهر لتنقية جو العواطف وضبط الاختلاجات . وهذاالفرق في مجابهة الاحاسيس والتعبير عنها يدل ولا شك على فرق في المزاج، اذ بينما كان الياس ابو شبكة يطلق العنان لجموح العواطف ويطيب له ان يزيدها صخباً والحافاً وان ينجرف وراءها انجرافاً دون ان يفكر بكبحها ، نرى يوسف غصوب يعيش اختباراته بهدوء واتزان ويسيطر على انفعالاته فتبقى ضمنية او يبقى غليانها في الضمير لا يطفر الى الخارج الا الماماً. وهذا الانضباط لم ينقص شيئاً من عمق العـاطفة وعنف الشوق ، ولكنه اثر على الاداء فاتى النشيد هادئاً كأنه مرّ بمصفاة كررته وصقلته .

من الواضح ان يوسف غصوب قد تأثر بالادب الفرنسي الى حد بعيد ، وانه استساغ الكثير من مؤلفات الرومنطيقيين والرمزيين والبارناسيين ، بيد انه من الصعب تحديد مدى هذا التأثر بالضبط ، وتمييز نصيب كل جماعة من تلك الجماعات في ينابيع الهامه واساليب تعبيره ، اذ انه غرف من جميع الينابيع وانفتح على مختلف التيارات دون ان يتقيد بأحدها. ويكفي ان ننفذ الى صميم « القفص المهجور » و « العوسجة الملتهبة » و « قارورة الطيب » لنتثبت من ذلك .

اجـــل ، لم يرتبط يوسف غصوب بنظرية من النظريات الشعرية ، ولم يكترث بالمدارس ، فهو ليس بالرومنطيقي

سعيد عقل

تماماً ، ولم يهتم بأن يكون هذا او ذاك ، بل كان همه الاول والاخير ان يجسد حالاته النفسية وانطباعاته الواضحة او الغامضة تجسيداً فنياً صادقاً ، يسوده الاتزان في اختيار الالفاظ وتنسيقها والعنـــاية في تيسير الاداء ورفع مستواه . فجاءت قصائده مصقولة محكمة العرى ، تنساب فيها موسيقى نقية ، رقراقة ، تهمس همساً كخرير الجدول الناعم الجاري في السهل .

هذا من حيث الاداء ، اما من حيث المضمون فقد عالج يوسف غصوب شتى المواضيع وعاش مختلف الحالات عيشاً اعماقياً ، ودخل في عالم الحب وعرف وجوهه العديدة ، عرف الشوق الاول المجنح وغبطة الوصال ، كما عرف الصد واللوعة ، وهاله تدفق الايام وانصرام ساعات المتعة والفتون ، وذوبان البهجة في تيار الزمن الذي يجرف معـــه الافراح وفلذات الاكباد بلا رحمة . وخبر ايضاً الحنين الى السعادة المخطوفة ، كما خبر التوق الى ديمومة الهناء وهذا ما هاج فيه لهفة كيانية ، اعمق من اى لهفة اخرى ، لهفة تريد العودة الى الجنة الاولى ، الى فردوس الانسان الاول الذي طردت النفس منه منذ ظهورها على الارض ولما تزل تحن اليه وتصبو الى الظفر به او الى تكوينه من جديد . وهذا ما يكسب دواوين غصوب لوناً من الوان القلق الميتافيزيقي يزيدها روعة .

وعلى ذلك القلق الميتافيزيقي ، او الوجودي ، لابدلنا من الاشارة

صدر حديثاً

الايدي النظيفة

بقلم

سعيد حسن الصايغ

مجموعة قصص من الادب الاجتماعي

الى شعر فوزي المعلوف الذي يتململ فيه هذا القلق بصورة أشد وضوحاً . وليست قصيدته الطويلة « شاعر في طائرة » سوى انعكاس حيرته وقلقه عبر اصطدامه بتناقضات النفس وحدود الذات والعطش الى المطلق .

والتكلم عن فوزي المعلوف الذي نظم في البرازيل وتوارى وهو في ريعان العمر يدفعنا الى التكلم ، ولو بشكل خاطف ، عن «الشعر المهجري» الذي يدخل في صلب الوثبة الشعرية اللبنانية . لقد ازدهر الادب العربي اللبناني في المهجر ، وخاصة في الاميركتين ، ازدهاراً ملحوظاً ، ولعبت « الرابطة القلمية » في الولايات المتحدة و « العصبة الاندلسية » في البرازيل دوراً هاماً فأغنت الادب واكسبته الواناً جديدة . وكان الشعر اساس هاتين الحركتين المهجريتين ، او بالاحرى العنصر البارز في انتاجهما ، فكان لنا جبران وميخائيل نعيمه (في النصف الاول من انتاجه) وايليا ابو ماضي ورشيد سليم الخوري (او الشاعر القروي) ، وكان لنا فوزي المعلوف وشفيق المعلوف وعقل الجر ..

قد لا يكون من المناسب ان نضع جبران خليل جبران في عداد الشعراء ، رغم ان مؤلفاته تنطوي كلها على شاعرية عميقة وعلى قوة خارقة لالتقاط الجمال وتسجيله والغوص الى كنه العاطفة واستخراجها . فهو شاعر في نثره ، وشاعر في تصويره وشاعر في فلسفته وخياله والرؤى المزدحمة في محاولاته ، ولكن الشاعرية خانته عندما تعاطى القريض ، وها هي « المواكب » ترتكز على المواعظ والحكم والتفكير الاجتماعي اكثر منها على الحالات النفسية والموسيقى الضمنية .

في حين ان منظومات ايليا ابو ماضي وعقل الجر والشاعر القروي وفوزي المعلوف وشفيق المعلوف تدخل في نطاق النشيد الذي ظلت « المواكب » بعيدة عنه . ويمكننا القول بصورة اجمالية ان الشعر المهجري يمتاز بالحنين الى الوطن الام وبعاطفة الغربة والوحدة والانسحاق في محيط غير ممهود تطغو عليه المادة في اغلب الاحيان ويسوده السعي المحموم وراء الانتاج الاقتصادي والكسب والرفاهية المادية .

غير ان قصائد شفيق المعلوف ، ان في « عبقر » او في «نداء المجاذيف» او « لكل زهرة عبير » تحطم مراراً هذه الاطارات وتندفع نحو الآفاق الرحبة لتصل الى ينابيع الالهام الاساسية التي تجمع بين الاجواء والاوطان والشعوب وتتعدى الزمان والمكان . وفي اعتقادنا ان مؤلفات شفيق المعلوف التي تزال في شرخ امتداداتها تستلزم درساً على حدة ، نظراً لاتصالها الوثيق بمعين الشعر العالمي .

* * *

والآن ، ينبغي ان نتحدث عن الناحية الثانية من الوثبة الشعرية اللبنانية ، وهي الناحية التي تدعى بالرمزية والتي يحمل لواءها سعيد عقل . هنا يجب تبديد شيء من الالتباس دخل في ذهن النقاد والشعراء معاً . لم يحدث في الشعر اللبناني ثورة رمزية بكل معنى الكلمة ، كالتي حدثت في فرنسا مثلاً واخذ عنها اللبنانيون بعض المعطيات .

فالرمزية الصحيحة في فرنسا التي يمثلها « رامبو » و « مالارمه » هي ثورة جذرية على المعنى والمبنى معاً ، على المضمون وأداء المضمون . اراد الرمزيون اولاً ان ينسفوا الاسوار التي يصطدم بها الخيال وتقف عندها العاطفة وكأنها مسجونة ، وما هذه الاسوار الا حدود الانسان العاجز عن تحقيق ذاته ، حدود معرفته النسبية وحبه النسبي ومقدرته النسبية ، بينما هو يتوق الى المطلق . لذلك تعمدوا شحذ قريحتهم عن طريق ارهاف الحواس والغوص الى كنه الاشياء والانقذاف الى ما وراء الوقائع والمرئيات .

واراد الرمزيون ثانياً اعادة تكوين العالم ، او خلق عالم جديد يحل

أطلق رجاءً جديداً

في مقلتيك عذابُ
وفي خطاك اضطرابُ
قد كان فيك شبابُ ،
وكان فيك اتقادُ !
هل نال منك اضطهاد ؟
فقلت هذا جهاد
لم يُجنَ منه حصاد ،
كالحلم لاح وولى
مثل السراب اضمحلا !

* * *

انا حرقنا الضحايا ... يضج فيها الضياء
انا جبهنا المنايا ... ولم يهلنا الفناء
فهل تخال الدماءَ ... حقاً تغور هباءَ
لا ! فالدماء ستزكو ... حريةً زهراءَ
ان كان خاب جهاد ... فلا تهن يا صديقي
أيّ الجهاد ورودُ ... على ترامي الطريق ؟
جهادنا ، انت أدرى ، ... صخرٌ وشوك كثير
والموت عن جانبيه ... لكننا سنسير !
الشعب ما مات يوماً ... وإنه لن يموتا
يفوته اليوم نصر ... وفي غدٍ لن يفوتا
وعالم الغد رحب ... وأفقه آمال
اشمخ اليه فيجلى ... قنوطك القتّال
أطلق رجاءً جديداً ،
تعال ننشد نشيدا
يمضي صداه بعيدا :
عدونا يستبد
واننا نستعد !
والنصر ما منه بد !
وسوف نزأر بعدُ !
كزأرة الغيظ قبلا
أعلى فأعلى فأعلى !

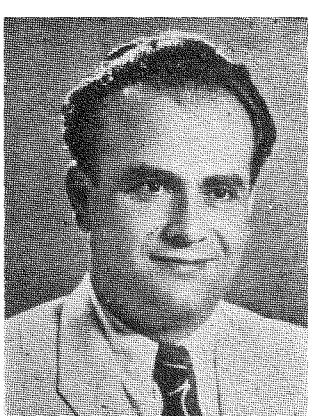

رئيف خوري

الشمس الغاربة

[من وحي مصر الجديدة ومن الحي الذي كان يقطنه الشاعر الكاظمي يوم غادر وطنه لاجئاً . وبتلك الروح التي ودع بها الكاظمي وطنه العراق يطالعنا اليوم الشاعر الحوماني بقصيدته «الشمس الغاربة» يودع بها لبنان او بالاحرى «شمس لبنان»]

•

أين يا شمي تروحين ، وروحي
هتف البين بها في أن تروحي ؟؟
من يداوي بعد عينيك جروحي
أدركيني ، وصليني
بالذي يطفي حنيني
والذي يبقي على جفني الذبيح
والذي يحفظ دنياي وديني

***

أين من عينيك يا «لبناي» عيني ؟؟
طال مـا بينهما العهد وبيني
أتمنـاكِ ، وأخشى أن تريني
فوق طرسي ودواتي
بين موت وحياة
شارد الفكرة ، مغلول اليدين
أسأل الوحشة عن ستِ جهاتي

***

أين يا امنيتي ، عهد الامـاني
نلتقيه في ظلال السنـديان
ويغنينا بهـا شتى الأغـاني
بلبل عـانق غصنا
وشجا الاوراق لحنا
بين قصف من دفوف ودنان
ومقـاصـير تغنيّ وتغنّ

***

أنتِ ألقيتِ على عيني غيوما
وسكبتِ الحبّ في قلبي نجوما
فـأرتنيه نعيمـاً وجحيما
وتسـآلتُ وقلبي
عنك في أية درب
أمعَ الصبح تجيبني نسـيا ؟؟
ام مع الأطيار أدعو فتلبي ؟؟

***

كتب الخلد على عينيك شعري
وعلى ثغرك إعلاني وسري
وعلى صدرك انشودة عمري
كتب الخلد ، هنا
وهنـا ، أنتِ انا
انت هذا الخافق المالىء صدري
مالئـاً صدرك نوراً ومُنى

***

كيف يا شمس تغيبـين وأبقي
أرقب المشرق تحناناً وخفقاً ؟؟
كم اناجيك بدمع ليس يرقا ؟؟
عدت للشعر فعودي
اوعدي في ان تعودي
وسأبني لك من عيني أفقـا
وأروي من دمي اوتار عودي

***

الهوى الطاغي على عينيّ منك
هو هذا الشفق الصـادر عنك
هو مثلي يبسم الفجر وأبكي
فعلى كل قضيب —
همسة من عندليب
وعلى زهر الربى من كل مسك
حبـة يشقى بهـا كل اديب

***

يا ابنة النورين عودي واعيدي
لونك الشائع في صمت الوجود
انه سرّ قيـامي وقعودي
وهبوطي وصعودي

محل العالم المحسوس وذلك بواسطة الكلمة الشعرية . لذلك راحوا يحطمون القوالب اللفظية المعهودة والتركيبات الكلامية التقليدية ويبتدعون مكانها قوالب وتركيبات لا مثيل لها من قبل ، فيمزجون المفردات مزجاً مبتكراً بعد تصفيتها وتكريرها ، وهكذا تفردوا بما يسمونه « الكيميـاء اللفظية » الخاصة ، اعتقاداً منهم ان اللفظة الصائبة تحتوي على قوة سحرية باستطاعتها ان تنفذ الى جوهر الحقيقة ، هذه الحقيقة التي يعجز العقل المجرد وتعجز اللغات العادية عن الوصول اليها . فكان عملهم عملاً ثورياً ، انقلابياً ، فيه ادعاء او بعض الادعاء بالالوهية ، وانتحال او بعض الانتحال لصفات الباري .

ونحن لا نرى مثل هذا الادعاء ولا مثل هذه المحاولة في اناشيد سعيدعقل وغيره من الشعراء الذين يتمسكون باهداب الرمزية . وجل ما هناك ان صاحب « بنت يفتاح » و « المجدلية » و « قدموس » قد أتى باشياء جديدة مبتكرة في طريقة الاداء والصياغة ، وعرف كيف يلعب باللفظة ليعطيها نضارة كانت مفقودة ، وموسيقى كانت مخنوقة . والحق يقال ان اديب مظهر كان قد مهد السبيل لهذا التجديد في باقة صغيرة من القصائد لم تشتهر الا بعد وفاته .

وما خلا النزعة التجديدية في انتقاء المفردات وتطويعها وتركيبها تركيباً طريفـا نضراً ، تمكن سعيد عقل من فرض نفسه بفضل قوة خياله الخارقة وتفجر الصور المزدحمة في ضميره ، وبفضل البلاغة الأصيلة التي تنطوي عليها نفسه ، فهو يتقن فن اختصار الرؤى ببضع كلمات محضورة في بيت واحد من الشعر فيبدو هذا البيت « زخماً » للغاية ، كأنه يشحن طاقة ديناميتية هائلة . هنا يكمن سر روعة « قدموس » و « بنت

٧٠

وركوعي وسجودي
إنه سر فنائي وخلودي
إنه لحني وترجيع قصيدي

***

يا ابنة النور : على اي شباب؟؟
أسدلت فرقتنا ، أي حجاب ؟؟
وطوت من بعدنا ايّ كتاب ؟؟
دق عنوانك فيه
واختفى عمن يعيه
فتمثلتك في بحر عُباب
قطرة يهلك فيها وهي فيه

***

اسمعيني صوتك الصادر عني
وأريني شخصك الناهل مني
لستِ من صنع يدي حتى تجني
وأرى حتى المجونا
جن بي منك جنونا
وهو إذ روّاك من عيني واذني
شرب الآذان وامتصّ العيونا

***

ما على كمك ، إذ مست يدي ،
لو تحريت عليها كبدي ،
إنها دائرة في خلدي ،
وعلى كل بنان
من معانيّ معان
صفقت روحي لها في جسدي
وانطوى في بعضها كل كياني

***

أنشي ظفرك وامتصي دمي
وأعلي من بقاياه في
إن في وجهك عيني مجرم
لا تقولي: لا، فمندي
خفقة من كل نهد
قرحت جفني وشقت قلمي
وأعلت منهما كل فرندِ

***

انا لولاك ، هباء في هبا
تافه روحاً وفجّ أدبا
جردیني تجديني حطبا
واذا شئت نهوضي
في ميادين القروض
هيمني اما تري مني ابا
ويعج الكون منا بالقريض

***

أنا يا زهراء زهر كلها
صنته أنعم عطراً ونما
واذا هان تراءى كالدمى
صوَراً لا روح فيها
تتصبى ناظريها
بفم كان من الشمع فما
وشفاه خيّبت من يشتهيها

***

طالعينا يا ابنة النور تعي
كل ما يغريك في أن تطلعي
أرهفي اذنك لي ثم اسمعي
ما تغنّيك ضلوعي
وتناجيك دموعي
إنها ظل امانيك معي
لم تبارح مضجعي منذ ربيعي

***

لا تغيبي ، وأنيري لي طريقي
وامسحي عن ناظري كل بريقِ
أنا لا أبصر في النور الصفيق
إنه وهج « ذكاء »
لم تصفقها سمائي
لستُ من ليلي مفيقاً أو تفيقي
إن شمسي غير شمس الشعراء

***

لا تغيبي عن سمائي ، وأطلي
أنا من ليليَ في صمت ممل
كنتِ ظلي يوم لم أنعم بظل
ونعيمي في جحيمي
وجحيمي في نعيمي
من لذكراي بأن تصحو ومن لي
بكِ يا شمس الصبا أن لا تغيمي؟؟

مصر الجديدة **محمد علي الحوماني**

يفتاح » و« المجدلية » .

ومن جهة ثانية ، اعجب سعيد عقل اعجاباً فائقاً بالشاعر الفرنسي «بول فاليري» والذي اشتهر بنحت القصائد نحتاً يسيطر فيه العقل على العاطفة ، ويتغلب فيه الفكر التحليلي على لواعج النفس . وقد اخذ سعيد عقل عن « فاليري » بعض طريقته النحتية وبعض ميله الى تحكيم العقل في الخلق الشعري ، وهذا ما يتضح لنا عند مطالعة بعض القصائد المجموعة في ديوانه «رندلى»

والمعلوم ان « فاليري » لم يكن شاعراً رمزياً بكل معنى الكلمة ، رغم تأثره باحد اقطاب الرمزية « مالارمه »، بل كان له اسلوبه الخاص ومدرسته الخاصة التي هي اقرب الى الكلاسيكية منها الى الثورة والانقلاب .

ومهما يكن من امر ، فلا سبيل الى نكران القشعريرة الجديدة التي ادخلها سعيد عقل على الشعر العربي ، والتي خلقت شبه مدرسة بين فريق من شعراء الجيل الجديد ، ولا بد ايضاً من التنويه بان الآثار التي تركها هذا الشاعر حتى الآن ، والتي نأمل ان تزداد وتتضاعف ، تمثل صرحاً شاهقاً من صروح النشيد العربي .

والى جانب الاقطاب الذين تكلمنا عنهم، يحتل كل من امين نخله وصلاح لبكي وسليم حيدر مكانة خاصة ، لا يمكن ردها الى مدرسة معينة او تيار معروف ، فأمين نخله مثلاً هو في طليعة المبدعين من حيث صياغة القصيدة والتقاط اللفظة اليانعة الفريدة ، وصلاح لبكي يتحلى باحساس مرهف الى حد بعيد وجولات واسعة في عالم الالوان والطيوب وغرائب الطبيعة واسرار النفس وتناقضاتها بينما سليم حيدر يحوم كالنحلة حول مختلف المواضيع ويقط على شتى الزهور ليجني منها عسلاً شهياً .وهؤلاء الثلاثة يشكلون مع بشارة الخوري والياس ابو شبكة ويوسف غصوب وشفيق المعلوف

٧١

وسعيد عقل الموكب السحري الذي مكّن الشعر اللبناني من القيام بوثبته الكبرى .

وغني عن البيان ان بعض معالم هذه الوثبة تجلى ايضاً في قصائد فرعية لطائفة من الشعراء الناشطين أمثال بولس سلامه ورئيف خوري وصلاح الاسير ورشدي المعلوف وجان عزيز وجوزف نجيم واحمد ابو سعد ومحمد يوسف حمود وغيرهم من الذين لا يزالون في بدء انتاجهم او لم ينشروا إلا القليل من منظوماتهم . ولم يكن بوسعنا ، في هذه اللمحة العجلى ، ان نتوقف عند كل شاعر من شعرائنا لنتبين خصائصه وينابيع الهامه ، فصارى ما حاولناه هو الاشارة الى اهم مصادر الوثبه ومقوماتها والقبب الشاهقة التي وصلت اليها .

موريس صقر

احدث منشورات

دار الثقافة بيروت

	ق.ل
ديوان الياس فياض	(ظهر اليوم) ٤٠٠
جدد وقدماء لمارون عبود	٤٠٠
اليهودية العالمية لرياض بارودي	١٠٠
الثائر ترجمة عيسى سابا	١٢٥

هذا وان الدار قد استوردت تشكيلة كبرى من الكتب العربية المصرية وغير المصرية واصبح عند الدار جميع الكتب العربية على مختلف مصادرها .

تطلب من الدار رأساً – العنوان دار الثقافة – ص.ب ٥٤٣ – تلفون ٣٠٥٦١ بيروت – لبنان

الى واحدة ..

لك الاشياء تخشى أن تُسمّى فنجّيها من الصمت المدمّى
نسجت بُكِ الورود فكل فجر يفتحُ منك للأرواح كمّا
فحسبك من سخاء أن تكوني وحسبي من هناءٍ أن أشمّا

* * *

تعانقت المشارقُ ساجدات لدى قبس بعينيك استحمّا
سكبت به الألوهة كبرياءً فلا قمم على التسكاب شما
ووجهك، عفو من صلى لشكر وغازل واستقى وسقى وضما
دمقسٌ فيه مجرى أرجوان يضرّجُ بالهوى قلباً أصما

* * *

تناهيت اختيالا في عروقي وحملت انسراحي فيك هما
وأتعبت الضياء فلا صباحٌ باجنحة ملوحة ألما
وعريت الدلال على ضفاف من الحسن النضير فقيل ؟ تمّا
مللتُ تلفتاً وهديل ظنّ وإغراء بما أخفيت ثما
وتقتُ إلى جنون مستبد بلذّاتي يثيرك فيّ حمى
فردي عن فمي قطراً زلالا وصبي في دمي الحران سمّا

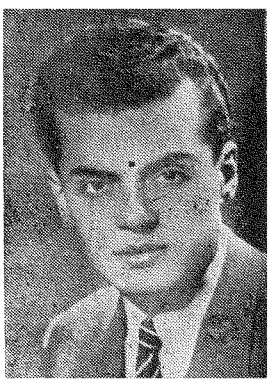

جوزف نجيم

٧٢